﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الحجر: 88]

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الحثُّ على الاستغناءِ بالقرآن، عن متاع الدّنيا الزّائل، وزينتها الفانية

لَمّا ذَكَرَ تَعالَى ما أَنْعَمَ بِهِ عَلَى رَسولِهِ ﷺ وهوَ أنَّهُ آتاهُ سَبْعًا مِنَ المَثاني والقُرْآنَ العَظيمَ، نَهاهُ عَنِ الرَّغْبَةِ في الدُّنْيا فحَظَرَ عَلَيْهِ أنْ يَمُدَّ عَيْنَيْهِ إلى شَيْءٍ مِنْ مَتاعِ الدُّنْيا رَغْبَةً فيها، ليستغنيَ بما آتاه من القرآن عن الدّنيا(1).

وأيضًا لمّا كان ما أوتيه سيّدنا محمَّدٌ ﷺ وما سيؤتاه أعظم ما أوتيه مخلوق، اتصل به قوله: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾، أي: فلا تنظر إلى الدنيا فإنَّ الذي أعطيناك أعظم منها(2).

شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لَا تَمُدَّنَّ﴾: أصلُ (مدّ): أَصْلٌ واحِدٌ يَدُلُّ على جَرِّ شَيْءٍ في طولٍ، واتِّصالِ شَيْءٍ بِشَيْءٍ في اسْتِطالَةٍ، كما أُطْلِقَ على بَسْطِ الجِسْمِ وتَطْويلِهِ، يُقالُ: مَدَّ يَدَهُ إلى كذا، ومَدَّ رِجْلَهُ في الأَرْضِ، ثُمَّ اسْتُعيرَ لِلزِّيادَةِ مِنْ شَيْءٍ، تقولُ: مَدَدْتُ الشَّيءَ أَمُدُّهُ مَدًّا، ومَدَّ النَّهْرُ، ومَدَّهُ نَهْرٌ آخَرُ، أي: زادَ فيهِ وواصَلَهُ فأطالَ مُدَّتَهُ(3)، ومنه: المُدَّة للوقت المتدّ(4)، ومدَّ اللّهُ الأرضَ يَمُدُّها مَدًّا بَسَطَها وسَوّاها، والمِدادُ: ما يُكْتَبُ بِهِ، لأنَّهُ يُمَدُّ بالماءِ، ومَدَّه في غَيِّه، أي: أمهلَه وطَوَّلَ لَهُ(5)، وتلك

(1) ابن الجوزي، زاد المسير: 2/543، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 19/161، وأبو حيان، البحر المحيط: 6/494.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 11/86، وابن جزي، التسهيل: 11/421.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مد)، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/82.

(4) الراغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (مد - مدد).

(5) ابن منظور، لسان العرب: (مدد).

إطلاقاتٌ شائِعَةٌ صارتْ حَقيقَةً، واستُعيرَ المَدُّ في الآية إلى التَّحْديقِ بِالنَّظَرِ والطُّموحِ به؛ تَشْبيهًا لَهُ بِمَدِّ اليَدِ للمُتَناوِلِ؛ لأنَّ المَنْهيَّ عنهُ نَظَرُ الإعْجابِ مِمّا هُم فيهِ مِنْ حُسْنِ الحالِ في رفاهيَةِ عَيْشِهِم مع كُفْرِهِم[1].

2) ﴿مَتَّعْنَا﴾: أصْلُ المَتْعِ: بُلوغُ الغايَةِ مِنَ الشَّيْءِ، يُقالُ: مَتَع النَّهارُ يَمتِعُ مَتْعًا، أي: بَلَغَ غايَةَ ارْتِفاعِهِ[2]، والماتِعُ: الجَيِّدُ البالِغُ الجَوْدَةِ[3]، والمُتْعَةُ: المَنْفَعَةُ، والاسْتِمتاعُ: الانْتِفاعُ[4]، تَقولُ: تَمَتَّعْتُ بِكذا واستَمتَعتُ به إذا انْتَفَعْتُ به، والإمتاعُ: النَّفْعُ، والمَتاعُ: كلّ شَيءٍ يُنتفع بِهِ ويُتبلَّغ بِهِ ويتزوَّد؛ والفناء يَأْتي عليه في الدُّنيا، والجَمْعُ أمتِعَةٌ[5]، والمقصود بالتَّمتُّع في الآية: انْتِفاعٌ بما يَلَذُّ ويَسُرُّ.

3) ﴿وَٱخْفِضْ﴾: أصلُ (خفض): يدلُّ على الانْحِطاط بعد العُلوِّ[6]، وهو ضدّ الرّفع، والتَّخفيضُ: مدُّكَ رأسَ البَعير إلى الأرْض لترْكبَهُ، والخَفْض: الدّعة والسّير اللّيّن[7]، وعَيْشٌ خَفْضٌ: ذو دَعَةٍ وخِصْبٍ[8]، والعرب تَقولُ: أرضٌ خافِضَةُ السُّقْيا؛ إذا كانَت سهلَةَ السَّقْي، وأرضٌ رافِعةُ السُّقيا؛ إذا كانَت على خلاف ذَلك، وفلانٌ خافِضُ الجناح، وخافِضُ الطَّيْر؛ إذا كانَ وقورًا ساكِنًا[9]، وخَفْضُ الجَناح تَمثيلٌ لِلرِّفْقِ والتَّواضُع بِحالِ الطّائِرِ إذا أرادَ أنْ ينحطَّ للوقوع خفض جَناحَهُ يُريدُ الدُّنوَّ، وكذلكَ يَصْنَعُ إذا لاعَبَ أُنثاهُ فهو راكِنٌ إلى المُسالَمَةِ والرِّفْقِ، أوِ الَّذي يَتَهَيَّأُ لِحَضْنِ فِراخِهِ[10].

4) ﴿جَنَاحَكَ﴾: أصلُ (جنح): أَصْلٌ واحِدٌ يَدُلُّ على المَيْلِ والعُدْوانِ، ويُقالُ: جَنَحَ إلى كذا، أي: مالَ إليهِ، وسُمّيَ الجَناحانِ جَناحَيْنِ لِمَيْلِهِما في الشِّقَّيْنِ، والجُناحُ: الإثْمُ، سُمّيَ بِذَلِكَ لِمَيْلِهِ عَنْ طَريقِ الحَقِّ[11]، وجَناحا الطّائِرِ: يَداهُ، وجَناحُ الإنسانِ: يَدُهُ، وفي

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/82.
(2) الراغب، المفردات: (متع).
(3) ابن عباد، المحيط في اللغة: (متع).
(4) محمد الأصبهاني، المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث: 3/148.
(5) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (متع).
(6) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (خفض).
(7) الراغب، المفردات: (خفض).
(8) الخليل، العين، وابن عباد، المحيط في اللغة: (خفض).
(9) الأزهري، تهذيب اللغة: (متع).
(10) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/83.
(11) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جنح).

التَّنْزِيل: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ [الإسراء: 24]، أي: أَلِنْ لَهُما جانِبَكَ[1]، والمقصود بالجناح في الآية: التَّواضُعِ واللّينِ التَّواضُعُ واللّينُ في الـمُعاملة.

الإنسانُ مأمورٌ بالتَّواضُعِ لإخوانِه المؤمنين، واستصغار زخارف الدُّنيا

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

لا تَنظُرَنَّ يا محمَّدُ ﷺ وتتطلَّعَنَّ إلى نعيم الدُّنيا الَّذي متَّعْنا به أصنافًا مِنَ الأغنياءِ مِن قَومِك، الذين لا يُؤمِنونَ باللّهِ واليوم الآخرِ، ولا تتمنَّه، واستغنِ بما آتاك اللّهُ مِنَ القرآنِ عمّا هم فيه مِنَ المَتاعِ الفاني؛ فقد أوتيتَ تلك النِّعمةَ العُظمَى، التي كلُّ نِعمةٍ أُخرَى وإن عَظُمَت، فهي حقيرةٌ في جانِبِها، ولا تَحزَنْ على الكُفّارِ أنَّهم لم يُؤمِنوا، فقَدْ بَلَّغْتَ رسالةَ ربِّك، وألِنْ جانِبَك للمُؤمنينَ، وارفُقْ بهم، وتواضَعْ لهم[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

مناسبة مجيء الآية بالفصل دون الوصل:

كلُّ نعمةٍ من نعم الدّنيا وإن عظمت، فهي حقيرةٌ، بالنّسبة لنعمة القرآن

جاءت الآية على طريق الفصل لتفيد ترتّبها على ما قبلَها، فإنَّه تعالى لمّا أخبره أنَّه قد آتاه النِّعمة العظمى التي كلُّ نعمةٍ وإنْ عَظُمَتْ فهي إليها حقيرة ضئيلة، وهي نعمةُ القرآنِ العظيم، ترتّب عليه الاستغناء به عن كلِّ ما سواه من متاع الحياة الدنيا، والمعنى: فلا تمدّن عينيك إلى متاع الدنيا، فجملة ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ﴾ مسببَّةٌ عن قوله ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ﴾، ولما كانت السببيَّةُ ظاهرةً أغنت عن الإتيان بالفاء[3]، فيكون قد أمره بالاستغناء عن المال بالقرآن، أي فإنَّ ما في

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (جنح).
(2) ابن جرير، جامع البيان: 14/128، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 10/57، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/546، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 434، والشّنقيطيّ، أضواء البيان: 2/316.
(3) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/7.

الدُّنيا من أصناف الأموالِ والذخائر بالنسبة إلى ما أوتيتَه مستحقَرٌ لا يُعبأ به أصلًا، ويحتمل أنْ تكون الآية اعتراضًا بين جملتين، فإنَّه لّمّا كانَ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ فيه تَسْلِيَةٌ لِلرَّسولِ ﷺ عن تَكْذيبِهم وعَداوَتِهِمْ اعْتَرَضَ بما هوَ مَدَدٌ لِمَعْنَى التَّسْلِيَةِ مِنَ النَّهْيِ عَنِ الالتِفاتِ إلَى دُنْياهُم والتَّأسُّفِ عَلَى كُفْرِهِم ومِنَ الأمرِ بأنْ يُقْبِلَ بِمَجامِعِهِ عَلَى المُؤْمِنينَ[1].

براعةُ الاستعارة، في قوله: ﴿لَا تَمُدَّنَّ﴾:

النّهيُ عن مدِّ العين إلى زخارف الدّنيا، مستلزمٌ النّهيَ عن تمنّيها

المَدُّ: أَصْلُهُ الزِّيادَةُ، وأُطْلِقَ عَلَى بَسْطِ الجِسْمِ وتَطْويلِهِ، ويُقالُ: مَدَّ يَدَهُ إلَى كَذا، ومَدَّ رِجْلَهُ في الأرْضِ، واستُعملَ اللفظُ هنا على طريق الاستعارة المكنيَّة، بتشبيه نظرِ العين إلى الشّيء على سبيل التَّحديق به وإدامته والطّموح فيه بمدِّ اليدِ للمتناول، فحُذِفَ المشبَّهُ به وذُكِرَ شيءٌ من لوازِمه وهو المدّ، وفائدةُ مجيء الكلام على الاستعارة بيانُ أنَّ المنهيَّ عنه ليس هو تناولَ الزّخارف، بل هو استحسانُ المنظور إليه، والنّظرُ إليه نَظَرَ الإعْجاب، مِمّا هُم فيهِ مِنْ حُسْنِ الحالِ في رَفاهيَةِ عَيْشِهِم مَعَ كُفْرِهِم، فكأنَّ مدَّ العينِ إلى ما متّع اللّه به أزواجًا منهم فيه معنى تمنّي تحصيله، فيكون النّهي عن مدِّ العين إلى المذكور مستلزمًا النّهي عن تمنّيه، وسبب النّهي مطويٌّ، ودلَّ عليه سياق الكلام بمجيء النّهي بعد ذكرِ نعمة إيتاء القرآن، والتّقدير: لا تمدّنَّ عينيكَ إلى ما متّعنا به أزواجًا منهم؛ لأن ما أوتيتَهُ أعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، ليفيدَ الكلامُ توبيخَهم على انشغالِهم بزخارفِ الدّنيا وزينتها، أي فلَوْ كانوا بِمَحَلِّ العِنايَةِ لاتَّبَعوا ما آتَيْناكَ مِنَ القرآن العظيم، ولَكِنَّهُم رَضوا بالمتاعِ العاجِلِ فلَيْسوا مِمَّنْ يُعْجِبُ حالُهُم[2].

(1) الزمخشري، الكشاف: 2/590، وأبو حيان، البحر المحيط: 6/496، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/89.

(2) الزمخشري، الكشاف: 3/97، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/82.

بلاغة النّهي في: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ﴾ بصيغة الخطاب:

النّهي للنّبوّة الخاتمة، عن النّظر إلى الدّنيا، فسائر الأمّة أولى بهذا النّهي

قولُه تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ﴾، وفيه أنّ أصل الخطاب أن يكون لمعيَّن وترك هنا إلى غير المعين لقصد العموم، ليكون المقصود نهيَ أتباعِه ﷺ عن مدِّ نظر العينين إلى ما متّع اللّه به رؤوس الكفرِ وأسيادَه، وأعطاهم من أنواعِ متع الدنيا وعظيم أصنافِها، والنّكتة في مجي الكلام بصيغة الخطاب لسيدنا محمَّد ﷺ هو نهي الأمّة عن النّظر إلى مثل هذا المتاع[1]، فإذا كان اللّه تعالى قد نهى رسولَه ﷺ فسائر الأمّة أولى بالانتهاء، كما أنَّ فيه نكتةً أخرى وهي الدعوة إلى استمرارِ عدم النّظر إلى المتاع المذكور، فليس المقصود هو الانتهاء للنّاظر فقط بل قطع النّظر أصلًا، لأنَّ النّهي توجّه إلى رسول اللّه ﷺ وهو لم يمدَّ عينيه أصلًا لأنَّ النّهي لا يقتضي الملابسة ولا المقاربة، فيكون المقصود توجيه الأمّة إلى عدم الاكتراث بالمتاع.

بلاغة الكناية في قوله ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ﴾:

الزّجرُ عن التّشوّفِ إلَى مَتاعِ الدُّنْيا عَلَى الدَّوامِ

لمّا كان مدُّ العينين إلى الشّيء يكون بإدامة النّظر إليه، وإدامة النّظر إلى الشّيء تدلُّ على إرادتِه واستحسانِه والرّغبة فيه، عُبِّرَ عن هذا المعنى بقولِه: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ﴾ على طريق الكناية؛ ليفيد أنَّ المنهيَّ عنه هو طموح النّفس إلى الشّيء طموح راغبٍ فيه، ويُنتقل من هذا المعنى إلى لازمه وهو النّهي عن تمنّي ذلك، فيكون المعنى: لا تتمنينّ ما جعلنا من زينة هذه الدنيا متاعًا للأغنياء من قومك، الذين لا يؤمنون باللّه واليوم الآخر، يتمتعون فيها، فإنَّ مِنْ ورائهم عذابًا غليظًا[2].

فائدة التّوكيد في قولِه ﴿لَا تَمُدَّنَّ﴾:

مدّ العينين إلى سراب الدّنيا الخلّب مدخل للفتنة والضّلالة

أفادت النّون الثّقيلة تأكيد النّهي وتقريرَه، بمعنى النّهي عن أيِّ

---

(1) الآلوسي، روح المعاني: 7/322، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/4112.

(2) ابن جرير، جامع البيان: 17/141، والواحدي، التفسير البسيط: 12/656، والزمخشري، الكشاف: 2/588، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 11/197.

مدٍّ للعينين إلى الزّخارف التي متّع اللّه بها الكفّار، وترك القرآن الّذي بين أيدينا.

نكتة التّعبير بالعينين دون أن يقول عينك:

التّعبير بصيغة المثنّى، للإشعار بأنّه يشبع العينين لكثرته وتنوّعه

عبِّرَ بالعينين بصيغة المثنّى؛ للإشارة إلى أن ما متعهم به يستحقُّ أن يأخُذَ العينين لكثرتِه وتنوّعه، وفيه إشعارٌ بأنَّ ما متّعهم به فيه يشبع النَّظر إلى زهرة الدنيا وزينتها، ولما أُمِرَ ﷺ بغضّ بصره عما يتمتّع به الكفار في الدنيا تأدّب ﷺ فلم ينظر ليلة المعراج إلى شيء مما رأى في الآخرة، فأثنى عليه الحقّ بقوله: ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧﴾ [النجم: 17][1].

براعة التّعبير بـ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ﴾ دون (لا تنظر):

مدُّ العينين يدلّ على الحرص، وتمنّي حصول ما يُرى، والذي ينظر قد لا يرى أصلًا

قوله تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ﴾ أبلغُ من (ولا تنظر)، لأنَّ الذي يمدُّ بصره إنّما يحمله على ذلك حرصٌ مقترن بالمدِّ ورغبةٌ فيه وتمنٍّ لحصولِه، والذي ينظر قد لا يكون ذلك معه[2].

توجيه المتشابه:

مناسبة كلِّ آيةٍ لسياقِها وسباقِها، بحيث لا تحتمل الزّيادة ولا النّقصان

قال اللّه تعالى في سورة الحجر ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ﴾، وقال في سورة طه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ﴾ [طه: 131]، فزاد في سورة طه: ﴿زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ﴾ [طه: 131]، والسّبب هو أنَّه في سورة الحجر جاء النّهي عن مدِّ العينين إلى ما متّعهم اللّه به مطلقًا، فالسورة بنيت على الإيجاز كما تقدَّم، وأمّا ما في سورة طه فقد بيّن أنَّ ما متّعهم به لأجلِ فتنتِهم ليقابل الأمر باستغراقِ الأوقاتِ بالتسبيح بحمد اللّه في قولِه: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ

(1) القشيري، لطائف الإشارات: 2/280.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/70.

تَرۡضَىٰ ﴿١٣٠﴾ [طه: 130]، فاستغراق أوقات الليل والنّهار بتسبيحك بحمد ربِّك يا رسولَ اللّه ﷺ لأجل الرّضى، وتمتّعهم بزهرة الحياة الدنيا باستغراق الأوقات فيها لأجل فتنتِهم، والمعنى الذي أُعطيتَه منَ التّسبيح للكرامة، وما أُعطوه فليس للكرامةِ بل للفتنة، وآية سورة الحجر جاءت من غيرِ واو العطف، والذي في سورة طه جاءت بالواو؛ لأنَّ آيةَ سورة الحجر لم يسبقها طلبٌ، وهي مترتّبةٌ على ما قبلها أو معترضة بين آيتين كما تقدَّم، وآية سورة طه سبقها طلبٌ بالتّسبيح، فاقتضى مجيء الوصلِ بالواو لتكون من عطف الطّلب على الطّلبِ(1).

دلالة استعمال حرف ﴿إِلَىٰ﴾ في السّياق:

وصول مدِّ النّظر إلى المتاع، لذَّةٌ للعينين فتتمنّاه النّفسُ

لّما كان حرف الجرِّ ﴿إِلَىٰ﴾ لانتهاء الغاية، أفاد أنّ تأثُّر العينين بالمتاع يكونُ حين يصل مدُّ نظرهما إلى المتاع وينتهي إليه، فحينئذٍ تستلذُّ العَينان بالمتاع وتتمنّاه النّفس.

معنى ﴿مَا﴾ ودلالتها، في سياق الآية:

متاع الدّنيا كلّ ملكها ولذّاتها، ممّا تمتدّ له العيون، وتتشوّف له النّفوس

عبِّرَ بالاسم الموصول ﴿مَا﴾ لإفادة عموم المتاعِ؛ ليشمل كلَّ ما تستلّذه النّفس وتنتفع به من مالٍ، ومما يلْبسهُ النّاس، وما يرتفقون به من منزل وأثاثٍ ومركب، وغيرها من عُروض الدنيا قليلِها وكثيرِها.

فائدة صلة الموصول ﴿مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ﴾ في السّياق:

أفاد التّعبير بصلة الموصول بيان أنَّ سبب النّهي عن مدِّ العينين إلى ما عندَ الكافرين هو أنَّ الذي عندهم متاعٌ زائلٌ لا بقاءَ له، وأنَّهم لانغماسِهم في لذّة المتاع انشغلوا به عن الإيمانِ والقرآن.

بلاغةُ ذكرِ التَّمتع دون الإنعام:

ما عندَ الكافرين من المتاع، زائلٌ لا بقاء له

عبّر بـ ﴿مَتَّعۡنَا﴾ للإيذانِ بأنَّ ما آتاهم من زهرة الحياة الدنيا

(1) النيسابوري، غرائب القرآن: 4/234.

التّمتّع سريع الزّوال وهو فتنة، والإنعام عطيةُ الله على وجه الإحسانِ والامتنان

انتفعوا به على سبيل التّوسُّع في الحياةِ، وظهرَ أثره بين النّاس لِما يومئُ به لفظ (متع) من معنى الارتفاع، وفي التعّبير إشعارٌ بحصولِ اللَّذّةِ بما تمتّعوا به، وموافقته لهم تمام الموافقة فيرتاحون له؛ لأنَّ النظر إلى متاع الدّنيا كالمركوز في الطباع، وأنّ من أبصر منه شيئًا من زهرة الدنيا أحبَّ أن يمدّ إليه نظره ويملأ منه عينيه، ولمّا كان التمتّعُ بمعنى الانتفاع السريع الزوال القليل اللبثِ، وإن طال أمدُه في نظرِهم، عبِّرَ بـ﴿مَتَّعۡنَا﴾ للإشعارِ بقربِ زوالِه وأنَّه إنّما كان فتنةً لهم، ولهذا لم يقل: (لا تمدنَّ عينيك إلى ما أنعمنا به)؛ لأنَّ الإنعام هو عطيةُ اللّه تعالى على وجه الإحسانِ لا على وجهِ الامتحان، ويقتضي الإنعامُ الشّكرَ منَ المنعَم عليه للمنعِم، والنّعمة قد تبقى وقد تزول، كما أنَّ الإنعام يكون على جهة العطاء للانتفاعِ بالنّعمة وشكرِها لا على جهة التّوبيخِ والاستدراج كما في لفظ ﴿مَتَّعۡنَا﴾[1].

نكتةُ استعمال فعل متَّع بصيغة الماضي:

الإيذان بتحقُّق الوقوع، ممّا يستفاد من معنى

عبّرَ بصيغة الماضي للإيذانِ بتحقّق وقوع تمتّعهم بما عندهم من الأموالِ وغيرِها، وأنّهم قد حصل لهم الغاية في التمتّع.

معنى الباء ودلالتها في قوله تعالى: ﴿مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ﴾:

الباء للإلصاق وفيها معنى السببيَّة

الباء هنا للإلصاق، بمعنى التصاق تمتّعهم بما عندهم منَ الأموال وأنواعِ الطّعام والملبس والمركبِ وغيرِها، فكأنَّهم لا يستطيعون الانفكاك عنه، وقد أشربت الباء معنى السببية، بمعنى: أنَّ تمتّعهم كان بسبب ما عندهم منَ الأموال وغيرِها، فيفيد المعنى أنَّ الذي عندهم كان سبب فتنتِهم.

تعيِّن مرجع ضمير ﴿بِهِۦٓ﴾:

يعود الضّمير على الاسم الموصول ﴿مَا﴾ أي: لا تُمدنَّ

(1) أبو القاسم الكرماني، لباب التفاسير، ص: 1006، والعسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 197، ومقاييس اللغة، وابن فارس والراغب، المفردات: (متع) (نعم).

يعود على (ما) أي من الزّخارف

قدّم (بِـه) للإشعار باهتمامهم بالمتاع، وحتى لا يفصل بين النعت (أزواجًا) ومنعوته (مِنْهُم)

الأزواج أي الكفّار ونساؤهم أو أصناف من الكفّار أو أصنافٌ من الزّخارف

عينيكَ إلى الزخارف التي متعنا بها أصنافًا منَ الكفرة اليهود والنصارى والمشركين.

فائدة تقديم الجار والمجرور ﴿بِهِۦٓ﴾:

قُدِّم حرف الجرِّ ﴿بِهِۦٓ﴾ على المفعول به ﴿أَزۡوَٰجٗا﴾؛ للإشعارِ باهتمامِهم بالمتاعِ وعنايتِهم له وسرعة إقبالِهم عليه، كما أنَّه لو أُخِّرَ الجار والمجرور فقيل: (لا تمدّنَّ عينيك إلى ما متعنا أزواجًا به منهم) لضعف النظم وانخرمت بلاغته.

دلالة قوله ﴿أَزۡوَٰجٗا﴾:

إن كان الأزواج بمعنى النّاس، فله وجهان، فإمّا أن يكون بمعناه المشهور، أي الكُفّارُ ونِساؤُهم، ووَجْهُ تَخْصيصِهم بالذِّكْرِ أنَّ حالَتَهُم أتَمُّ أحْوالِ التَّمَتُّعِ لِاسْتِكْمالِها جَميعَ اللَّذّاتِ والأُنْسِ، وإن كان بمعنى أصنافٍ منَ الكفّار، فهو على النَّظم الذي جرى به التنزيل؛ أي: لا تمدّنّ عينيك إلى ما متعنا به أصنافًا من سادة الكفر منَ اليهود والنّصارى والمشركين، ووَجْهُ ذِكْرِهِ في الآيَةِ أنَّ التَّمَتُّعَ الَّذي تَمتَدُّ إلَى مِثْلِهِ العَيْنُ لَيْسَ ثابِتًا لِجَميعِ الكُفّارِ بَلْ هوَ شَأْنُ كُبَرائِهِم، أيْ: فإنَّ فيهِم مَنْ هُم في حالِ خَصاصَةٍ فاعْتَبِرْ بِهِم كَيْفَ جُمِعَ لَهُمُ الكُفْرُ وشَظَفُ العَيْشِ، وإن كان الأزواج بمعنى أصناف الزّخارف، كان حالًا من هاء الضمير في ﴿بِهِۦٓ﴾ وتكون (مِنْ) للتبعيضِ، و﴿مِّنۡهُمۡ﴾ على موضع المفعول به للفعل ﴿مَتَّعۡنَا﴾، والمعنى لا تمدنَّ عينيك إلى أصناف الزخارف التي متعنا بها بعضًا من الكفرة كالملابس الفاخرة والمراكب الفائقة والروائح الطيبة، والكلام على التقديم والتأخير، كأنَّه قال: لا تمدَّنَّ عينيك إلى ما متّعنا منهم أزواجا[1].

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 6/464، والطيبي، حاشية على الكشاف: 10/274، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/82.

فائدة تنكير ﴿أَزۡوَٰجٗا﴾ في السّياق الكريم:

الإشارة إلى ضرورة احترام حرمات الآخرين، والغضّ عن خصوصياتهم

لمّا جاء الجمع المنكّر في سياق النّفي، أفاد العمومَ؛ ليشمل أسياد الكفرة كلَّهم، ويدخل فيه بعض أزواجِهم الذين كانوا في وقتِ التّنزيل دخولًا أوّليًّا، كما يفيد التنوُّع، إذا أُريد بالأزواج أصناف متماثلة في النِّعَم.

نكتة جمع ﴿أَزۡوَٰجٗا﴾ في الآية:

النّهي عن مدّ العينين إلى المتاعِ مقطوعٌ به وإن عظم وكثرت أنواعه

الأَزْواجُ هُنا يُحْتَمَلُ أنْ يَكونَ عَلَى مَعْناهُ المَشْهورِ، أي: الكُفّارُ ونِساؤُهُم ووَجْهُ تَخْصيصِهِم بالذِّكْرِ أنَّ حالَتَهُم أتَمُّ أحْوالِ التَّمَتُّعِ لِاسْتِكْمالِها جَميعَ اللَّذّاتِ والأُنْسِ كما تقدَّم[1]، ويحتمل أن يكون بمعنى رؤساء الكفّار، وجمعهم لأنَّه لمّا كان المتاع إذا كان قليلًا بأن كان لشخصٍ واحدٍ قد تتصاغره الأعين ولا تمتدُّ إليه تشوّقًا ورغبةً فيه عبّر بصيغة الجمع لأنَّ زخارفَ أصناف الكّفار ورؤسائِهم إذا اجتمعت عظمت وتنوّعت، ففيه إشعار بأنَّ النّهي عن مدِّ العينين إلى المتاعِ مقطوعٌ به وإن عظم وكثرت أنواعه.

معنى (مِنْ) ودلالتها في قولِه ﴿مِّنۡهُمۡ﴾:

بيان للأزواج الكفار أو بعض أصناف الزّخارف

الظّاهر أنَّ (مِنْ) بيان للأزواجِ، إذا كان الأزواج بمعنى الأصناف من النّاس والمعنى أزواجًا من الكفّار من اليهود والنّصارى والمشركين، وتحتمل أن تكون للتبعيض إذا كان الأزواج بمعنى أصناف الزّخارف، والمعنى لا تمدّن عينيك إلى أصناف الزّخارف التي متّعنا بها بعضًا من الكفرة.

براعة تقييد الإسناد بقوله ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا﴾:

النّظر إلى متاعِ الدّنيا للاعتبار ممدوحٌ، وللانشغال به عن القرآن مذمومٌ

لمّا كان النّهي عن مد العينين يحتمل أسبابًا عدّةً قيّد النّهي بقوله ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا﴾ للإيذانِ بأنّهم ظنّوا أنّهم إنّما مُتِّعوا في هذه الدنيا؛

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/82.

لخطرِهم وقدرِهم عند اللّه؛ فنهاه أن ينظر إلى ذلك بعين الذين نظروا هم إليه؛ فخرج من مفهوم القيد النّظرُ للاعتبار[1].

فائدة إسناد الفعل إلى ضمير العظمة في قوله ﴿مَتَّعۡنَا﴾:

التّمتيع استدراج قد يكون سببًا في الهلكة

أفاد إسناد الفعل إلى ضمير العظمة أنَّ ما متّعهم به كثير وكبير وأنَّه بعلمِ اللّه تعالى، ففيه معنى الاستدراجِ.

بلاغة التّعبير في قوله ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾، بين الكناية والتّصريح:

تسلية الله لرسولِه وللمؤمنين بنهيهم عن الحزن على كفرِ الكافرين

يحتمل أن يكون النهي عن الحزن عليهم بما يصيرون إليه من العذاب بكفرِهم كناية عن النّهي عن الإشفاق عليهم، وبعدم الاكتراث بهم، وتركهم وما هم فيه من الإصرار والعناد، وهو كالنَّهي عن إذهاب النفس عليهم حسرات، ويفيد بلازمه الأمر بالإغلاظ عليهم؛ وعُبِّرَ بالنّهي عنِ الحزن دون النّهي عن الإشفاق ليفيد التّسلي والتّخفيف عليه ﷺ بدفع الحزن عن نفسه؛ لأنه كان يحزن لكفرهم باللّه وتركهم الإيمان؛ حتى كادت نفسه تتلف لذلك؛ كقوله: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ﴾ [الشعراء: 3] الآية، وقوله: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ﴾ [فاطر: 8] الآية، وفي التّعبير كناية أيضًا عَنْ تَوَعُّدِهِم بأنْ سَيَحِلُّ بِهِم ما يُثيرُ الحُزْنَ لَهُم، وكِنايَةٌ عَنْ رَحْمَةِ الرَّسولِ ﷺ بالنّاسِ، ويحتمل أن يكون النّهي على مقتضى الظّاهر، لأنه ﷺ كان يحزن عليهم، ويضيق صدره؛ لما مكروا به وكادوه، والمعنى لا تحزن على كيدِهم ومكرِهم لك، فإنّي سأجزيهم عليه.

نكتةُ مجيء الفعل ﴿تَحۡزَنۡ﴾ بصيغة المضارع:

تجدُّد النَّهي واستمراره

عبّر بصيغة المضارع للإيذانِ بالنّهي عن الحزن، وعن تجدّد النّهي واستمرارِه وإن استمرَّ الكفرُ، وفيه إشعارٌ بأنَّ كفرَ الكافرين وكيدَهم مستمرٌّ لا ينقطع.

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 6/463.

نكتة ذكر متعلَّق الفعل في قوله ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾:

النَّهي شامِلٌ لِكُلِّ ما يُحْزِنُ الرَّسولَ ﷺ ويُؤْسِفُهُ

ذكر متعلَّق الفعل؛ للإيذانِ بأنَّ المنهيَّ عنه ليس مطلقَ الحزن بل الحزن عليهم، فيكون القيد مقصودًا في النّهي، ولمّا قيَّده بـ (عَلَى) ولم يذكر ما يكون لأجلِه الحزنُ أفادَ أنَّ النَّهْيَ عَن الحزن عَلَيْهِم شامِلٌ لِكُلِّ حالٍ مِنْ أحْوالِهِم التي مِنْ شَأْنِها أنْ تُحْزِنَ الرَّسولَ ﷺ وتُؤْسِفَهُ، فمن ذلك كفرهم وحُلولُ العَذابِ بِهِم مِثْلَ ما حَلَّ بِهِم يَوْمَ بَدْرٍ فإنَّهُم سادَةُ أهْلِ مَكَّةَ[1].

دلالة حرف الجرِّ (عَلَى):

النّهي عن الحزن على الكافرين، لِعظمِ كيدِهم ومكرِهم

يحتمل أن يكون (عَلَى) بمعناه، ليفيد النّهي عن الحزن عليهم بسبب كفرِهم باللّه؛ لأنَّه ﷺ كان يرغبُ في إيمانِهم، والمعنى: لا تحزن عليهم أنَّهم لم يؤمنوا أو لأنَّهم لم يؤمنوا، ويحتمل أن يكون (عَلَى) مضمّنًا معنى السّببيَّة، والمعنى: لا تحزن على مكرهم وكيدِهم لك، أي: بسبب مكرِهم، وعُبِّرَ بحرف الاستعلاء للإشعار بعظم ما يصيبُه ﷺ من الحزنِ بسبب كيدِهم ومكرِهم بحيث لو أصابَ غيرَه لتمكّن منه الحزنُ، وحذف المضاف (مكرهم) للإشعار بأنَّ ذواتهم كلّها صارت مكرًا وكيدًا له ﷺ[2].

بلاغة الوصل بالواو في قوله ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ﴾:

المؤمن لا يلتفت إلى أموالِ رؤساء الكفرِ، وليس لهم في قلبِه قدرٌ ولا وزنٌ

لمّا جمع بين النّهيين بالواو دلَّ على مناسبة في المعنى، ليفيد قَوْلُه: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ﴾ النَّهْيَ عَنِ الالتِفاتِ إلَى أموالِهِم، وقَولُه: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ النَّهْيَ عَنِ الالتِفاتِ إلَيْهِم وأنْ يَحْصُلَ لَهُم في قَلْبِهِ قَدْرٌ ووَزْنٌ[3].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/82.
(2) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 6/465، وابن الجوزي، زاد المسير: 2/543، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 3/217.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 19/161، والآلوسي، روح المعاني: 7/323.

بلاغة الوصل بالواو، في قوله ﴿وَٱخۡفِضۡ﴾:

المؤمن مأمورٌ بالتّواضُع لإخوانِه، وخفْضِ جناحه لهم

لَمّا نَهى اللّه تعالى رسولَه ﷺ عَنِ الِالتِفاتِ إلَى الأغْنياءِ مِنَ الكُفّارِ أمَرَهُ بِالتَّواضُعِ لِفُقَراءِ المُسْلِمينَ، ليجمع بين الإعراض عنِ الكافرين وزينتِهم والإقبال على المؤمنين والرّفق بهم، ففيه تتميم للمعاني بطريق المقابلة، وكأنّه يقول له بدلًا منَ الحزن على الكافرين لأنَّهم لم يؤمنوا أقبلْ على مَن آمن واخفض جناحك لهم وقرِّبهم إليك وطب نفسًا بإيمانِهم من إيمانِ الأغنياء من قريشٍ، أي: إذا كان هناك مَن يستحق العناية والاهتمام فهم المؤمنون، ونَظيرُهُ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: 54] وقالَ في صِفَةِ أصْحابِ رَسولِ اللّه ﷺ: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [الفتح: 29]، أو يقال جاءت الجملة بطريق الوصل لتكون على الاحتراس، وبيانه أنَّه لمّا كان النّهي عنِ الحزن عليهم مفيدًا بلازمِه الإغلاظ عليهم كما تقدّم وأعقبه قولُه تعالى: ﴿وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ﴾ ناسب مجيء جملة ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ كالاعتراضِ للأمرِ بالرِّفْقِ لِلْمُؤْمِنينَ؛ ليفيد أنَّ معاملة المؤمنين تختلف عن معاملة الكافرين[1].

بلاغة الاستعارة التّمثيليّة في السّياق البليغ:

تعظيمُ من آمنَ لإيمانِه، وتصغيرُ ما عندَ الكافرين لكفرِهم

قوله: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، وفيه أنّ أصلَ هذه الكلمة أنَّ الطّائر إذا ضمَّ فرخَه إلى نفسِه بسطَ جناحَه له، ثمَّ خفضَه على الفرخ، للمبالغة في الحنوِّ والحيطة والحفظ والصيانة، وكذلك يفعل إذا أرادَ أنْ ينحطّ للوقوع، فيخفض جَناحَهُ للدُّنوِّ؛ لأنَّ الطائر إذا كفَّ عن الطيران خفض جناحيه، وكَذَلِكَ يَصْنَعُ إذا لاعَبَ أُنْثاهُ فهوَ راكِنٌ إلَى المُسالَمَةِ والرِّفْقِ، فخفض الجناح استعارة تمثيليَّةٌ للرّفق والحنوِّ والتَّواضع واللين والإرفاق والتلطّف بالمؤمنين[2].

---

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 19/161، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/83.

(2) أبو حفص النسفي، التيسير في التفسير: 9/221، وابن عطية، المحرر الوجيز: 3/374، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 3/217، وأبو حيان، البحر المحيط: 10/57، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/83.

بلاغة الاستعارة في خفض الجناح، بين المكنيَّة والتّصريحية:

تحتمل الاستعارة التمثيلية أن تكون مكنيَّةً؛ إذ صيغَ التَّعْبيرُ عَنِ الرّفق والتّواضعِ بِتَصْويرِهِ في هَيْئَةِ مدِّ جناحِ الطّائر إذا ضمَّ فرخَه إلى نفسِه[1]، كما تحتمل أن تكون تصريحية تبعية؛ إذ شُبِّهَ التّواضع ولين الأطراف والجوانب عند مصاحبة المؤمنين بخفض الطائر جناحه عند الدنوِّ من صغارِه أو عند إرادة الانحطاط، فأطلق على المشبَّه اسم الخفض بطريق الاستعارة التصريحية، فاشتق منه اخفض بمعنى: ألِن على طريقة التبعية، وفائدة الاستعارة على الوجهين تصوير حالةِ التّواضع على معنى الحنوّ والدنوّ واللّين، والاستدلالُ على وجوب الامتثال له بدخولِ المشبَّه في جنسِ المشبَّه به[2].

التـعـبـير عن الرفق والتواضع بهذه الصّورة في المكنيَّة، وتشبيه التواضع واللين بخفض الطائر جناحه لصغاره في التّصريحيَّة

توجيه معنى التّخييل، في قولِه ﴿جَنَاحَكَ﴾:

لمّا أثبت الجَناحَ الذي هو لازم المشبَّه به وهو الطّير كانت الاستعارة تخييليَّة، ويكون ذكر الجناحِ تخييلًا؛ لأن الجناحَ لمّا نقل من المشبه به إلى المشبه صار السّامع يخيل إليه أن المشبَّه من جنس المشبه به، للمبالغة في الأمر بالرّفق والتلطّف بالمؤمنين.

المبالغة في الأمر بالرّفق والتلطّف بالمؤمنين

معنى اللّام ودلالتها في قوله تعالى: ﴿لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾:

تفيد اللام الاختصاص، بمعنى أن يكون خفض الجناح مختصًّا بالمؤمنين دون سواهم.

التّواضع للمؤمنين حصرًا

توجيه تخصيص الحكم بالمؤمنين:

لمّا جعل الحكم متعلّقًا بالمؤمنين وكان اللفظ مشتقًّا أفاد تعليق الحكم بالمشتقِّ الدلالةَ على علّيَّة المأخذ، بمعنى أنَّ إيمانَ المؤمنين باللّه تعالى وبك يا رسول اللّه ﷺ هو سبب الأمرِ بخفض الجناح

إيمان المؤمن سببٌ للين الجانب، وحنوّ القلب على إخوتِه المؤمنين

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/83.
(2) الهرري، حدائق الروح والريحان: 20/368.

لهم، وخصَّ الحكم بهم دون أن يكون للمسلمين مثلًا للإشعار بالعلاقة بين الإيمان بالقلب ولين الجانب.

فائدة حذف متعلّق قوله ﴿لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾:

لزومهم وصف الإيمان، أو عموم الإيمان بك وبكلّ ما أتيت به

يحتمل أن يكون حذف متعلَّق اسم الفاعل لقصدِ لزوم وصف الإيمانِ، بمعنى الذين صار الإيمان وصفًا لازمًا لهم، كما يحتمل أن يكون الحذف لقصد العمومِ، والمعنى المؤمنين بِكَ وبما أَتَيْتَ بِهِ وهو القرآن العظيم، لذكره في سياقِه[1].

توجيه المتشابه اللفظي:

التّشريف والإنعام بتلطّف سيّد الأنام، شاملٌ لجميع الأمة، لا بالعلية فقط

أوّلًا: قال اللّه تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، وفي سورة الشعراء: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥﴾ [الشعراء: 215]، فزيد في الشعراء قوله: ﴿لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾ [الشعراء: 215]، وتوجيهه أنَّه لما لم يتقدم آية الحجر تخصيص بمدعو بل تقدمها خطابه، ﷺ، بالتأنيس والتسلية عمن أعرض والرفق بمن آمن فقال تعالى: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، لم يحتج هنا إلى زيادة، ولما تقدم آية الشعراء قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ [الشعراء: 214]، والإنذار يستصحب التخويف والاستعلاء على من يخاطب به، أتبع ذلك تعالى تلطفًا وإنعامًا على من آمن من عشيرته وغيره بقوله: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥﴾ [الشعراء: 215]، فلو لم يذكر هذه الزيادة لكان الظاهر أنَّ اللّام في ﴿لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ للعهد، فصار الأمر بخفض الجناح مختصًّا بالأقربين من عشيرته، فزيد ﴿لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾ [الشعراء: 215] ليعلم أنَّ هذا التشريف والإنعام بالتلطف والرّفقِ شامل لجميع متّبعيه منَ الأمة[2].

ثانيًا: الذُّل في قوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾

---

(1) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 3/186.

(2) الغرناطي، ملاك التأويل: 2/292 - 293، والنيسابوري، غرائب القرآن: 4/234.

[الإسراء: 24]، إشعارٌ بعظم حق الوالدين وتأكيدٌ له، وتنزيهٌ له ﷺ منَ الذّلِّ، كما أنَّ خفض الجناح بمعنى التّواضع والرّفق في المعاملة، وخفض جناح الذّلِ بمعنى التّواضع والرّفق في المعاملة مع الذّلَّةِ للوالدين.